# نمط الراوي ووظيفته: بين «يوميات دير العاقول» و«من أوراق أبي الطيب المتنبي»

# Narrator Type and function: A Comparison between «Yawmiyyat Dir al-Aqul» and «Min Awraq Abi al-Tayyib al-Mutanabbi»

**د. حسين محمد عبد اللّه القرني**

أستاذ الأدب العربي المشارك بقسم اللغة العربية

جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية

**Email: halqarni@kau.edu.sa**

## الملخص:

تقدم هذه الدراسة مقاربة لـ(يوميات دير العاقول: سيرة أبي الطيب المتنبي) لمحمد أحمد السويدي، ورواية محمد جبريل (من أوراق أبي الطيب المتنبي)؛ موازِنةً بين العمليْن من حيث نمط الراوي ووظيفته فيهما. وتستعين الدراسة في تحليلها السردي بمقولات أعلام البنيوية عن الراوي ووظائفه، كما تستقرئ مضامين الخطاب فيهما. وقد توصلت الدراسة إلى أن الكاتِبيْن قد اعتمدا على تقنية الراوي العليم والراوي الشاهد، وكان الراوي حاضراً مشاركاً في أكثر المشاهد السردية لديهما، غير أنهما قد افترقا فيما يتعلق بالمضامين الخطابية السياسية التي يمكن استنطاقها من سردهما؛ تبعاً لاختلاف الموقف السردي، والحمولات الفكرية في العملين.


**كلمات مفتاحية**: الراوي، محمد السويدي، محمد جبريل، يوميات دير العاقول، من أوراق أبي الطيب المتنبي

**Abstract:**

This study analyses the works of Muhammad Ahmad al-Suwaidi (Yawmiyyat Dir al-Aqul)، and Muhammad Jebril 's novel (Min Awraq Abi al-Tayyib al-Mutanabbi); it compares the voice of the narrator and his role in both. The study makes use of the principles of structuralist approach، especially with regards to the narrator type، role، and functions within the narrative discourse in the two works. The study concludes with that the narrator in both works has been present، knowledgeable، and actively participated in the narrative acts، and that the writers had differed regarding the political discourse and contents in their respective works.

Keywords: Narrator، Mohammed al-Suwaidi، Mohammed Jebril، Dir al-Aqul Dairy، Min Awraq Abi al-Tayyib al-Mutannabi

## مقدمة

كان المتنبي – ولا يزال – مركز اهتمام كثير من الدارسين الذين توفّروا على دراسة شعره وحياته، وقد بدأ الاهتمام بشعر المتنبي في حياته؛ حيث كان معاصروه أول من تلقّى شعره بالشرح والموازنة، ولا تزال الدراسات حوله تترى إلى يوم الناس هذا. كما كانت شخصيته وحياته وتاريخه موضوعاً لكثير من الأعمال الأدبية في العصر الحديث؛ ومنها رواية «من أوراق أبي الطيب المتنبي» للروائي المصري محمد جبريل،[1] ويوميات سيرة متخيّلة كتبها الأديب الإماراتي محمد أحمد خليفة السويدي بعنوان «يوميات دير العاقول: سيرة أبي الطيب المتنبي»،[2]

(1) جبريل، محمد، من أوراق أبي الطيب المتنبي: رواية، ط 2، (القاهرة: مكتبة مصر، 1995م).

(2) في مقال منشور لمحمد السويدي بموقع الوراق بتاريخ 18 سبتمبر 2007م، "المتنبي وعصره بين البحث والرواية»، وأعيد نشره في صحيفة القدس العربي بتاريخ 10 أكتوبر 2007م، بعنوان «حول التشابه بين يوميات دير العاقول ومن أوراق أبي الطيب المتنبي: المتنبي وعصره بين البحث والرواية»؛ يذكر السويدي أنه سينشر «يوميات دير العاقول» عند اكتمالها في نسخة ورقية، وكان قد أنجز منها في ذلك الوقت 160 يومية، وتوقّع حينها أن تصل إلى 300 يومية. واليوم يبدو أن السويدي إما عازف عن إصدار النسخة الورقية من يوميات دير العاقول، أو مؤجل لها؛ حيث وصلت اليوميات المدونة 345 يومية، ونشر بعضها على موقع الوراق، وعدداً منها في هيئة منشورات على صفحته في (فيسبوك) واليوم نجدها متاحة بكاملها في مكان واحد يضمها مجتمعة ومترتبة بشكل جيد في نسخة رقمية من خلال تطبيق «واحة المتنبي» للأجهزة اللوحية، من ضمن مواد أخرى تعكس اهتماماً واسعاً بالمتنبي وعصره وبالشعر والآداب والفنون، وهو جزء من مشروع كبير يعمل عليه السويدي اسمه «القرية الإلكترونية».

انظر: السويدي، محمد أحمد خليفة، «المتنبي وعصره بين البحث والرواية»، موقع الوراق الإلكتروني، (18 سبتمبر 2007م)، على الرابط: http://www.alwaraq.net/Core/dg/dg_honorable_comments?recid=4454 وانظر: السويدي، محمد أحمد، "حول التشابه بين يوميات دير العاقول ومن أوراق أبي الطيب المتنبي: المتنبي وعصره بين البحث والرواية"، صحيفة القدس العربي، عدد 10 أكتوبر 2007م، وانظر: موقع "القرية الإلكترونية» على الرابط: http://www.electronicvillage.org/ وموقع "واحة المتنبي» على الرابط: http://

وغيرها.[1]

تعدُّ رواية «من أوراق أبي الطيب المتنبي» التي كتبها الروائي المصري محمد جبريل - وطبعت للمرة الأولى عام ١٩٨٤م - واحدةً من رواياتٍ تاريخيةٍ عديدة لجبريل، وتحكي على لسان بطلها (المتنبي) قصة مُقَامه في مصر زهاء خمس سنين، وصِلَتِه بحاكمها كافور الإخشيدي ومن حوله من عِلية القوم في ذلك الزمن، ثم ارتحاله عنه شرقاً، وتلمّ بشيء من أحداث حياته حتى مقتله. وقد مزج فيها جبريل بين حقائقَ تاريخية - تتضمّن أسماءَ أعلامٍ حقيقين - وخيالاتٍ متعددة على مستوى الشخصيات والأحداث والحوارات. ويمكن القول: إنَّ جبريل قد اتكأ على التاريخ ليصف واقعاً يتكرر في المجتمعات التي تظهر فيها الاضطرابات السياسية، والمظالم، والقمع، والفساد، وتختلّ فيه أحوال الناس، وتسوء أحوال المعاش، وتتبدّل الطبائع والأخلاق. وقد ربطت دراسة سمية الشوابكة ونوال الشوابكة لهذه الرواية بين الوقائع السردية وبين واقع الروائي في مصر إبان السبعينات من القرن المنصرم.[2]

ثم ظهرت «يوميات دير العاقول: سيرة أبي الطيب المتنبي» التي كتبها الأديب الإماراتي محمد أحمد السويدي، وهي -كما يذكر الكاتب- جزءٌ من مشروع كبير واهتمام قديم يشمل كل ما له صلة بالمتنبي من قريب أو بعيد. وقد نشرها متفرقة في موقع الوراق ثم في موقع واحة المتنبي، ثم جعلها ضمن محتويات تطبيق (app) للأجهزة اللوحية باسم

---

www.almotanabbi.com /poemsList.do وموقع "يوميات دير العاقول» على الرابط: http: / /dairalaqool.almotanabbi.com /#story-page وتطبيق "واحة المتنبي» على الرابط:

https: / /apps.apple.com /us /app /waha-almotanabbi

(1) يمكن أن يذكر في هذا السياق بعض الأعمال الفنية الدرامية، التي كان المتنبي مادتها الأساس، ومنها مسرحية: كاظم، عادل، الزمن المقتول في دير العاقول: تشخيصية معاصرة عن زمن المتنبي المقتول، (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1977).

(2) الشوابكة، سمية، والشوابكة، نوال، "المتنبي راوياً والروائي محققاً: رواية "من أوراق أبي الطيب المتنبي" للروائي المصري محمد جبريل"، مجلة جامعة ابن رشد في هولندا، ع 27، (2018م)، ص17.

(واحة المتنبي). وقد أشار السويدي إلى أنه حفظ أغلب شعر المتنبي، وعندما بدأ العمل على (واحة المتنبي)؛ تبيّن له ضرورة نشر المعرفة بإشراك الحواس المختلفة في تلقيها، فقدّم كل بيت من شعر المتنبي متبوعاً بكل شروحاته المتاحة، ووظف الصورة والرسم والصوت مع النص الشعري، وتتبع زمن كل قصيدة فأدرجها في خط زمني، ثم ألحق بهذا الخط اليوميات المتخيّلة (يوميات دير العاقول) متربطة بحكايات حدثت في تلك السنة من حياته، كما ميّز الأماكن المذكورة وربطها بخرائط تفاعلية؛ تمكّن القارئ من الاستعانة بها لتحديد الموقع الجغرافي للمكان الذي ورد في شعر المتنبي، وأتاح له معرفة الكلمات الغريبة من خلال الإشارة إليها بالمؤشر، وأخرج هذا العمل إلى الفضاء الرقمي بطريقة تفاعلية؛ إيماناً بأن هذا هو سبيل المعرفة المناسب للأجيال القادمة.[1]

وفي اليوميات الأولى نجد أن السويدي كان يصدّرها بهذا النص: «يوميات دير العاقول هي مخطوطة عثر عليها أحدهم في مكتبة مهجورة في زاوية من مسجد قديم في المنطقة التي تحمل الاسم نفسه، والتي لقي فيها الشاعر أبو الطيب المتنبي مصرعه. بدت المخطوطة قديمة بالية ومجهولة النسب، ولعل من عثر عليها تبيّن له بعد جهدٍ، أنها نسخة دقيقة نقلت قبل قرن من الزمان عن أصل دوّنه المتنبي».[2] ويمكن عد (يوميات دير العاقول) سيرةً متخيّلة – لا روايةً تاريخيةً – مادتها حياة المتنبي، وتضم تدوينات قصيرة مستقلة، وتحمل الواحدة منها حكايةً ما ذات صلة بحياة المتنبي، أو حادثة وقعت في عصره فيوردها حكاية لما حدث في ذلك الزمن، وقد صيغت هذه الحكايات في قالب حكائي سردي؛ مرويّةً على لسان بطلها (المتنبي)، وقد جعلها السويدي منظمة ومترتبة على امتداد الخط الزمني لحياة المتنبي مبتدئةً بعام 303 هـ ومنتهية بعام 355هـ.

(1) انظر: عطفة، فاطمة، «محمد السويدي الشاعر الذي عشق المعرفة وذهب عميقاً في جنّاتها لـ«الاتحاد»: الثقافة الإماراتية تعيش لحظة التمكين» حوار مع صحفية الاتحاد الإماراتية، 19 فبراير 2020م.

(2) السويدي، محمد أحمد خليفة، يوميات دير العاقول (سيرة أبو الطيب المتنبي)، صفحته على موقع (فيسبوك)، منشور بتاريخ 17 أبريل 2017م، على الرابط: https: / /www.facebook. com /mohammed.suwaidi.poet /posts /857831111052998

وقد أُشِيرَ إلى أنّ السويدي ربما يكون قد أفاد من رواية جبريل في عمله على «يوميات دير العاقول»؛[1] حيث إنّ رواية محمود جبريل «من أوراق أبي الطيب المتنبي» تنطلق من المدخل الحكائي نفسه؛ حيث بدأها جبريل بهذا المقطع: «تباينت الروايات: في أيّ الأماكن ترك أبو الطيب المتنبي هذه الأوراق، ومن الذي عثر عليها في المرة الأولى. قال البعض: إن الأوراق عُثر عليها ضمن متعلقات أبي الطيب، في الموضع نفسه الذي شهد معركته الأخيرة، ومصرعه. ورواية ثانية، أنها كانت ضمن ما حمله أحد اللصوص من متاع المتنبي... ورواية ثالثة، أن أحد المارة وجد حقيبة صغيرة، في الموضع نفسه الذي صُرع فيه المتنبي، فحملها إلى بغداد»؛[2] إلاّ أن السويدي ينفي أن يكون قد أفاد من عمل جبريل؛ مؤكداً أنه لم يطلع على الرواية إلا بعد أن أنجز قرابة ١٦٠ يومية من اليوميات، وأنّ «ثيمة إقامة عملٍ مّا على فكرة العثور على مخطوطة، ثم الانطلاق منها، هي بالأساس فكرة ليست بمبتكرة، ولا يمكن أن ننسبها إلى شخص بعينه، وإنما هي طريقة درامية - إذا صح التعبير - تكرر استغلالها، وسوف يتكرر في العديد من أنواع الإبداع الفني».[3]

كما حاول السويدي أن ينفي عن يومياته شبهة المحاكاة لعمل جبريل من خلال بيان الفروق بين العملين؛ فأشار إلى اتجاه جبريل لاختيار مقتطفات من التاريخ لكي يخلق منها «إسقاطات فنية على واقع يريد أن ينتقده»، بينما عمله في اليوميات هو «تفكيك الزمان وإعادة تركيبه»؛ ليستطيع من خلال ذلك إعادة النظر في «المسلمات والأفكار الثابتة التي تثقلنا، وتحول دون امتلاكنا نظرة موضوعية إلى ذواتنا وتاريخنا».[4] كما يرى السويدي أن العملين مختلفان بالنظر إلى شخصية البطل، فـ«متنبي الأستاذ جبريل هو بطل متخيّل في عمل روائي لا يقاس على مسطرة التاريخ»، بينما «المتنبي في (يوميات

(1) ذكر السويدي ذلك في الأسطر الأولى من جملة أسبابٍ دفعته لكتابة مقاله: "المتنبي وعصره بين البحث والرواية»، ولم يسمِّ أحداً بعينه.

(2) جبريل، محمد، من أوراق أبي الطيب المتنبي، ص 6-5

(3) السويدي، محمد أحمد خليفة، المتنبي وعصره بين البحث والرواية.

(4) المصدر السابق.

دير العاقول) هو نفسه المتنبي الشاعر». وقد اختاره لأنه يمثل استثناء فارقاً في عصره، و»يمتلك كل المواصفات لأن يكون (حاملاً) قوياً للرسالة التي أردت إيصالها من خلال إعادة تشكيل فسيفساء أحداث وتنظيم نبض الحياة في ذاك العصر».[1] وستبيّن هذه الدراسة أن (متنبي السويدي) يعد أيضاً بطلاً متخيّلاً لا يقاس على مسطرة التاريخ.

ويبدو أن العنوان الأخير الذي اختاره السويدي (يوميات دير العاقول: سيرة أبو الطيب المتنبي) يؤشر إلى استقراره على أن تكون هذه اليوميات سيرة غيرية متخيّلة، كما أشار في سياق تفريقه بين (يوميات دير العاقول) وعمل جبريل إلى أن اليوميات ليست «رواية بالمعنى التقليدي للكلمة»، وأن كل ما فعله أنه وضع على لسان المتنبي حكايات استقاها من المصادر التاريخية،[2] «فالأساس في هذا العمل هو (التشكيل)» ليصل مراده من خلال إعادة صياغة ذلك العصر «إلى القارئ في مشهديّة تضج بالصخب والحياة والناس والأحلام وغير ذلك، واختيار مدخل العثور على مخطوطة واعتماد نسق اليوميات ما هو إلّا (لباس) فنّي حاولت من خلاله كسر ما عرفته عملية كتابة التاريخ من نمطية».[3]

ومع كل ما قدّمه السويدي من مبررات ومحاولات لإضفاء الصبغة التاريخية على عمله؛ إلا أن ذلك لا ينفي عنه طبيعة التشكيل السردي، فاليوميات تسرد – على نحوٍ ما – حكاية يوم من الأيام في حياة أحدٍ ما، والسيرة تسرد قصة حياة شخص ما، والتاريخ غير النمطي المكتوب بـمشهديّة يُعيد تركيب الزمن في سرد الأحداث المنتقاة، ويرويه راوٍ

(1) نفسه.

(2) جبريل أيضاً يزعم أنه يحقق أوراق المتنبي كما وجدها يقول: "وقد حرصت في تحقيق الأوراق – وأعتذر لضياع بعضها، وطمس كلمات أو حروف بعضها الآخر – أن أسوِّد ما كتبه أبو الطيب في زمانه، لا أغيّر كلمة ولا حرفاً، ولا أحذف أو أضيف. إنما أشرح ما يطلب الشرح". جبريل، من أوراق أبي الطيب المتنبي، ص 6. وهذه حيلة يعتمد عليها الكاتب في سياق الإيهام بواقعية وجود هذه الأوراق المتخيّلة، ومثلها زعم السويدي أنه إنما ينقل عن مصادر التاريخ بدقة. لأنهما ينطلقان من التاريخ الذي ترد فيه أسماء حقيقية لأشخاص حقيقيين، وحوادث حقيقية (كارتحال المتنبي إلى مصر) لكنهما يشكّلان الأحداث المتخيّلة لكيفية هذا الارتحال، ويضعان على ألسنة شخصيات الحكاية كلاماً متخيلاً، وهذا من طبيعة العمل السردي.

(3) السويدي، المتنبي وعصره بين البحث والرواية.

متخيّل، ويقدّم رؤية ما حول شخوص وأفكار ذلك العصر، وربما بإسقاطها على أوضاع فكرية أو أحداث مشابهة لعصر الكاتب،[1] ولذا فإننا نرى أنّ (يوميات دير العاقول) داخلة في جملة الأعمال الأدبية ذات الطبيعة السردية.[2]

إن الجامع الأبرز بين عمليْ السويدي وجبريل أن المتنبي كان الشخصية الرئيسة فيهما، وكل الأحداث تدور حوله، و(المتنبي) في كلا العملين هو الراوي بضمير المتكلم، وكان التاريخ في كليهما «موضوعاً للسرد، ويخضع المادة التاريخية لطبيعة الفن الروائي».[3] ولطالما كانت الشخصيات البارزة في تاريخ الأمم مصدر إلهام للأدباء الذين رسموا صوراً متخيّلة عن حيوات هؤلاء العظماء، منطلقين من الأحداث الأبرز في حياتهم، ومرتكزين على التاريخ أو مقاربين له مستلهمين بعض جوانبه، أو ناسجين لتواريخ موزاية متخيّلة عن سير هذه الشخصيات. ولكن القضية التي تقاربها هذه الدراسة تدور حول التساؤل عن مدى ملاءمة اختيار (المتنبي) بطلاً وراوياً في الوقت نفسه في العملين – على اختلافهما – إضافة إلى مقاربة طريقة الكاتبيْن في إظهار صوت الراوي، واتخاذه قناعاً لتضمين الخطاب مضامين سياسية، ومناقشة مدى إمكانية اختلاف

(1) يشير السويدي إلى أن من أهدافه في اليوميات، إظهار التشابه الفكري بين زمن المتنبي وزمننا هذا الذي يعج بالانقسام الطائفي والمذهبي، والتطرف الديني، والقمع والقهر السياسي، وغياب الديمقراطية، واستعمال الأديب أداة بيد السلطة، وغلبة الوهم والإيمان بالخرافة وغياب الوعي. انظر: المصدر السابق.

(2) لعل أبرز ما يبدو حول افتراق الرواية والسيرة أن الأولى عمادها الخيال، بينما الثانية تحكي وقائع تاريخية حدثت فعلاً، ولكن اليوميات بشكلها الذي نشره السويدي هي إعادة تخيّل لكيفية حدوث بعض هذه الوقائع التاريخية، وليست في أكثر الأحوال مطابقة لما حدث أو قيل في تلك الوقائع. ولذا هنا لا بد من الفصل بين التاريخي (الخام)، وبين التشكيل السردي الذي يصنعه الكاتب من أحداث وحوارات متخيّلة على لسان راويه، تتضمن وجهة نظر، بمضامين خطابية هي من صنع المؤلف، ولكنها معزوة للراوي. انظر: برقاد، أحمد، تعالق السيرة الذاتية بتخوم الأجناس السردية، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع 38، (2018م)، ص 39–37.

(3) وتار، محمد رياض، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2002م)، ص 102.

مضامين الخطاب عند اختلاف نمط الراوي والوظيفة السردية التي تؤديها الأنماط المتعددة للراوي.

وتفترض هذه الدراسة أن (يوميات دير العاقول) عمل فني له طبيعته السردية، ومادته مشكّلة من شخصية المتنبي وشعره وحضوره التاريخي، ولكنه قد صيغ في قالب فني سردي؛ وهذا يجعله قريباً من رواية جبريل في الاتكاء على التاريخ، مع إعادة تشكيله في سيرة متخيّلة. وقد جاءت اختيارات الكاتبيْن الفنية متوافقة مع مكانة المتنبي وطبيعة حضوره في الموروث الثقافي العربي؛ فـالأنا الطاغية عنده يناسبها أن يكون هو راوي حكايته، وأن يظهر صوته في العملين بوصفه مشاركاً في صنع الأحداث وذا حضور مركزي في البنية السردية، والمعبّر عنه من خلال سرده للأحداث بصيغة ضمير المتكلم. وتوازن الدراسة بين نمط الراوي ووظيفته في العملين؛ ولكن نظراً لأن رواية جبريل قد حظيت باهتمام بعض الدراسين من قبل،[1] فإنّ دراستنا هذه تولي عمل السويدي اهتماماً أكبر، وتحاول أن تجعل عمل جبريل مرجعاً للموازنة.

**الإطار النظري:**

**مفهوم الراوي:**

مفردة (الراوي) لا تكاد تخلو منها مدونة من مدونات التراث العربي القديم، من رواة الأحاديث النبوية الشريفة إلى رواة أخبار الأدب، ومثلها كذلك لفظة (الراوية) الذي يتخذه الشاعر قديماً لرواية شعره وحفظه وإنشاده بين الناس، والمعنى في كل ما سبق

(1) أبرز هذه الدراسات وأقربها لعمل جبريل هي دراسة الشوابكة المشار إليها أعلاه، على أنها قد اتجهت نحو التأويل، واعتنت كثيراً بمحاولة تفسير الإشارات الواردة في الرواية من خلال ربطها بالواقع الذي عاشه الكاتب الروائي إبان كتابتها، وفي معالجتها للجوانب الفنية في الرواية اهتمت كثيراً بالشكل الذي اختاره جبريل ليظهر الرواية كما لو كانت تحقيقاً علمياً لمخطوطة قديمة، ملأها بالحواشي، وذيلها بالشروحات، وهو ما عدته قناعاً أراد جبريل التخفي وراءه ليقول ما يصعب قوله بطريقة مباشرة أو صريحة. انظر: الشوابكة، المتنبي راوياً والروائي محققاً، ص 19.

لا يخرج عن حدود نقل المرء ما بلغه أو حفظه عمن سمعه منه، إلى من لم يصله هذا الحديث أو الخبر أو الشعر.[1]

أما في الدراسات الغربية فقد حضر مصطلح الراوي أو السارد[2] (narrator) ضمن الدراسات الحديثة الفنون السردية، حيث نجد أن جيرالد برنس (Gerald Prince) يصفه بأنه "الشخص الذي يقوم بالسرد، والذي يكون شاخصاً في السرد"،[3] كما أن ولف غانغ كايزير[4] (Wolfgang Kayser) يميز بين السارد والمؤلف مؤكِّداً أننا في الأعمال السردية لا نعدّ "السارد هو المؤلف أبداً، سواء أكان معروفاً من قبل أو غير معروف، وإنما هو دور مبتكر ومتبنّىً من طرف المؤلف".[5]

**أنماط الراوي:**

يحدد تيزفيتان تـودوروف (Tzvetan Todorov) ثلاثة أنماط لعلاقة السارد بالشخصية الروائية باعتبار زاوية الرؤية أو المنظور: الأول، السارد الذي تكون رؤيته للشخصية من الخلف، ويكون "في هذه الحالة يكون السارد أكثر معرفة من الشخصية.

(1) في لسان العرب: "روى الحديثَ والشِّعْرَ يرْويه رِواية وتَرَوَّاه، ... وراوِيةٌ كذلك إذا كثرت روايتُه، والهاء للمبالغة في صفته بالرِّواية. ويقال: روَّى فلان فلاناً شعراً إذا رواه له حتى حَفِظه للرِّواية عنه. قال الجوهري: رَوَيْتُ الحديث والشِّعر رِواية فأَنا راوٍ". ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، (القاهرة، دار المعارف د.ت.)، 3/ 1786.

(2) في هذه الدراسة نستعمل (الراوي والسارد)، بمعنى واحد، ونشير لعدم اختلاف معناهما إجرائياً عند التحليل، ينظر: العذاري، ثائر، "الراوي والسارد وفوضى المصطلحات»، مؤسسة النور للثقافة والإعلام، (2019/ 06/ 07)، على الرابط: http: //www.alnoor.se /article.asp?id=353698

(3) برنس، جيرالد، المصطلح السردي: معجم مصطلحات، ترجمة: عابد خزندار، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003)، ص 160.

(4) لعل (النقحرة) الأصوب عند نقل الاسم إلى العربية هي: فولف غانق كايزر، اعتماداً على طريقة النطق الألمانية للاسم. أما (ولغ غانغ كايزير) التي اعتمدها اسويرتي، فتبدو غير دقيقة.

(5) كايزير، ولف غانغ، "من يحكي الرواية؟ ترجمة: محمد اسويرتي،"، طرائق تحليل السرد الأدبي: دراسات، (الرباط: منشورات اتحاد كتّاب المغرب، 1992م)، ص 113.

وهو لا ينشغل بأن يشرح لنا كيف اكتسب هذه المعرفة: إنه يرى ما يجري خلف الجدران كما يرى ما يجري في دماغ بطله، فليس لشخصياته الروائية أسرار".[1] والثاني، الذي يكون السارد فيها متوازياً في رؤيته مع الشخصية الرواية، «وفي هذه الحالة يعرف السارد بقدر ما تعرف الشخصية الروائية، ولا يستطيع أن يمدنا بتفسير للأحداث قبل أن تتوصل إليه الشخصية».[2] أما الثالث، الذي تكون زاوية الرؤية عنده من الخارج حينما «يعرف السارد أقل مما تعرف أي شخصية من الشخصيات الروائية. وقد يصف لنا ما نراه وما نسمعه ...إلخ، لا أكثر، لكنه لا ينفذ إلى أي ضمير من الضمائر».[3]

وقد أشار كايزير في توصيف أنماط السارد إلى بعض خصائصه التي قد يُغْفَل عنها، وهي «كونه أو إمكانية كونه مطلق المعرفة»؛ عندما يكون السارد الذي يصف دواخل النفوس وأفكارها العميقة أو مشاعرها منتمياً إلى طريقة يجعل فيها كاتبُ الرواية «الساردَ يتمتع بقدرة لا يتمتع بها إلا الإله أو الآلهة»،[4] ويريد بذلك العلم الكامل أو مطلق المعرفة. كما يرى كايزير أن مثل هذه المقولات قديمة تتجدد، فلقد «صرح أطو لو دفيغ منذ قرون بأن (السارد) هو السيد المطلق للزمن والمكان» وأنه بعد مضي قرنين من الزمان على ظهور «أكبر نظرية للرواية، نظرية بلاكنبورغ Blankenburg (التي) تدعو السارد "خالِقَ عَالَمٍ" (فإننا) قد استعدنا فقط، -وربما طورنا- موقفاً كان من قبل متخذاً في الماضي".[5]

وتقسّم يمنى العيد الرواة باعتبار معرفة الراوي، ودرجة المعرفة، وزاوية الرؤية أو المنظور إلى نوعين رئيسين: «راوٍ يحلل الأحداث من الداخل، وراوٍ يراقب الأحداث من الخارج»، ثم تُفرِّع تحت كل نوع منهما نوعين فرعيين، فالراوي الذي يروي الأحداث

(1) تودوروف، تزيفطان، «مقولات السرد الأدبي»، ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا، طرائق تحليل السرد الأدبي: دراسات، (الرباط: منشورات اتحاد كتّاب المغرب، 1992م)، ص58.

(2) المصدر السابق.

(3) نفسه، ص59.

(4) كايزير، ولف غانغ، "من يحكي الرواية؟"، ص 117.

(5) المصدر السابق، ص 118.

من داخلها إما «بطل يروي قصته بضمير الـ أنا، وهو بهذا المعنى راوٍ حاضر»، وإما «راوٍ يعرف كلَّ شيءٍ. إنه راوٍ كلي المعرفة رغم أنه راوٍ غير حاضر»، وإذا كان الراوي خارج الأحداث، فهو يرويها بوصفه أحد نوعين: «راوٍ شاهد وهو بهذا المعنى حاضر لكنه لا يتدخل، أو راوٍ يروي ولا يحلل. إنه ينقل ولكن بواسطة، وهو بهذا المعنى غير حاضر، لكنه لا يسقط المسافة بينه وبين الأحداث».[1]

كما نجد أن علاء عبد المنعم إبراهيم يحدد ثلاثة أنماط من الرواة في السرد من خلال دراسته لكتاب نسيم الصبا لابن الحلبي (ت. 779هـ)، وهي «الراوي العين» و «الراوي الذاكرة» و»الراوي الصوت»،[2] والأول منها يقابل ما يطلق عليه الراوي العليم، ويشمل الراوي الحاضر المشارك في الأحداث والراوي المشاهد لها غير المشترك في تسيير أحداثها، وذكر له وظائف عدة في النص السردي، هي: «الوظيفة السرديّة الخاصة بإنشاء العالم السرديّ، وتندرج تحت هذه الوظيفة مجموعة من الوظائف الفرعيّة كوظيفة الإخبار، ووظيفة التفسير، ووظيفة الإدارة. والوظيفة الانفعالية وتختص بإبراز تفاعل الراوي مع الـمَشَاهد، والوظيفة الأيديولوجية الخاصة بمنظومة القيم التي يؤمن بها الراوي ويسعى إلى نقلها للمتلقي، والوظيفة الرمزية وتتعلّق بالمعاني البعيدة الخافية التي يضمّنها (الراوي العين) مشاهده».[3]

(1) العيد، يمنى، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط 3، (بيروت: دار الفارابي، 2010)، ص 138-137.

(2) إبراهيم، علاء عبد المنعم، أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي التراثي: كتاب نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي نموذجًا، شبكة الألوكة، منشور بتاريخ: (2011-9-24م)، ص 243-242 على الرابط: https: / /www.alukah.net /publications_competitions /0 /34897 وقد نشر لاحقاً بدار نشر جامعة قطر: إبراهيم، علاء عبد المنعم، أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي القديم، (الدوحة: دار نشر جامعة قطر، 2020م)، ولكن لم يتسنّ للباحث العثور على نسخة منه في طبعته الأخيرة، ولا يبدو أنها اختلفت كثيراً عن المنشورة على الشبكة بعام 2011م، بحسب عرض عماد للكتاب، انظر: عماد، عبد اللطيف، علم السرديات وسرديات التراث: مراجعة كتاب: أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي القديم، مجلة أنساق، دار نشر جامعة قطر - كلية الآداب والعلوم - قسم اللغة العربية، مج 3، ع2، ص 117.

(3) إبراهيم، علاء، أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي التراثي، ص 6-5.

**وظيفة الراوي:**

يبيّن جينيت دور الراوي في نقل المضامين الخطابية التي يود الكاتب إيصالها، موضّحاً أنّه في «الخطاب يتكلّم أحدٌ ما، وموقفه داخل فعل الكلام نفسه هو ما يشكّل بؤرة الدلالات الأكثر أهمية؛ أما في السرد فلا أحد يتكلم».[1] ويفرّق جينيت – متّبعاً بنفنيست – بين الخطاب والسرد؛ الذي أدخل ضمن الخطاب «جميع ما يَعتمد في الواقع – على الأقل فيما يخصّ الجانب اللفظي – على الخطاب المعار من قبل ... السارد إلى إحدى شخصياته ... مثل ضمير المتكلم أنا».[2] ويستنتج جينيت من ذلك وجود تعارض جلي بين «موضوعية السرد وذاتية الخطاب»؛ ويوضّح بأن «الخطاب يكون ذاتياً كلما اندمغ – ضمنياً أو تصريحاً – بمثول ضمير المتكلم (أنا) أو (أحال عليه)،... أما موضوعية السرد فتتحدد – بالعكس من هذا – من خلال غياب أية إحالة على السارد».[3]

كما يلمح جيرار جينيت (Gerard Genette) إلى دور السارد أو الراوي في نقل وجهة النظر، مبيناً أنه قد "يتخلى عن جميع مسؤوليات الخطاب لفائدة واحد من الشخوص الرئيسية؛ إذ يدعه تارة يتكلم بصيغة المتكلم فيروي الأحداث ويعلّق عليها في نفس الوقت"، وفي روايات أخرى قد يظهر السارد كما لو كان غير "قادر على الحسم سواء في التحدث باسمه الشخصي أو في تفويض هذا الدور إلى شخصية واحدة فقد كان يقسط الخطاب بين مختلف الفاعلين".[4]

وقد تناولت سيزا قاسم وظيفة الراوي ضمن مبحث المنظور الروائي في بناء الرواية، مبينة أن «الروائي عندما يقص لا يتكلم بصوته، ولكنه يفوض راوياً تخييلياً يأخذ على

(1) جينيت، جيرار، "حدود السرد"، ترجمة: بن عيسى بو حمالة، طرائق تحليل السرد الأدبي: دراسات، (الرباط: منشورات اتحاد كتّاب المغرب، 1992م)، ص 80

(2) المصدر السابق، ص 79.

(3) نفسه.

(4) نفسه، ص 82.

عاتقه عملية القص ويتوجه إلى مستمع تخييلي أيضاً يقابله في هذا العالم»،[1] ولكن هذا الراوي التخييلي ممثّلٌ عن الكاتب الروائي، فقد «سُميت هذه الشخصية الأنا الثانية للكاتب»، وفيما يتعلق بحضور الراوي أو غيابه، تشير سيزا إلى أنّ الراوي قد يكون «غير ظاهر في النص القصصي، وقد يكون شخصية من شخصيات الرواية».[2]

أما حميد لحمداني فقد أشار إلى دور الراوي في النص السردي، في سياق توصيفه لعلاقة الراوي بالمتلقي، مبيّناً أن «المبدأ في علاقة الراوي بالقارئ هو مبدأ الثقة، لأن القارئ ينقاد مبدئياً نحو الثقة في رواية الراوي».[3] كما تناول أنماط الراوي من خلال الحديث عن «زاوية رؤية الراوي (أو أشكال التبئير Focalisation)"[4] وبين أنها «متعلقة بالتقنية المستخدمة لحكي القصة المتخيلة، وأن الذي يحدد شروط اختيار هذه التقنية دون غيرها، هو الغاية التي يهدف إليها الكاتب عبر الراوي. وهذه الغاية لابد أن تكون طموحة، أي: تعبر عن تجاوز معيّن لما هو كائن، أو تعبّر عما هو في إمكان الكاتب، ويقصد من وراء عرض هذا الطموح التأثير على المروي له، أو على القراء بشكل عام».[5]

ويؤكد كايزير أننا – عند النظر في الروايات المعتمدة على راوٍ بصيغة المتكلم – نكون واهمين إذا حكمنا بأن كاتب الرواية يرتكب أخطاء فنية عندما يجعل السارد «يحكي أكثر مما عاشه هو نفسه»، أو ينقل حوارات «لم يتمكن أبداً من معرفة شيء عنها»؛ لأنّ هذا حق أصيل لكاتب الرواية فـ»ما كان السارد بضمير المتكلم أبداً الامتداد الخطي للشخصية المحكي عنها. إنه أكثر من ذلك، وما شخصيته، شخصية البطل، سوى قناع مرهف يخفي

(1) قاسم، سيزا، بناء الرواية: دراسة مقارنة في «ثلاثية» نجيب محفوظ، (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2004م)، ص 183.

(2) المصدر السابق.

(3) لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، (بيروت والرباط: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، 1991م)، ص 45.

(4) المصدر السابق، ص 46.

(5) نفسه.

واقعاً مخالفاً».[1] وهذا ما يسمح للكاتب بقول ما يريد قوله على لسان الراوي، مبتعداً عن التصريح بمواقفه وآرائه. ويبيّن كايزير بأن هذا النمط من إظهار صوت الراوي أو السارد لا يقلل من قيمة العمل الفني، قائلاً: «ما الرواية بضمير المتكلم ولا رواية اليوميات أو الرواية التراسلية بأشكال أقل شعرية من غيرها. في الحقيقة، فالسارد غير منحصر في المنظور الضيق للشخصية المحددة».[2]

وتستعين هذه الدراسة بأدوات منهج التحليل السردي لأنماط الراوي ووظائفه كما نجدها في هذه المقولات البنيوية المؤسِّسة؛ لمقاربة عمل محمد السويدي في (يوميات دير العاقول)، موازنة مع رواية محمد جبريل (من أوراق أبي الطيب المتنبي)؛ من حيث توظيفهما لشخصية (المتنبي) بوصفه البطل الذي يروي قصته، ويقدّمها للمتلقي، وسنشير في ثنايا ذلك إلى تباينهما في طريقة إيصال صوت الراوي، ووظيفته عند كلٍّ منهما، والمضامين الفكرية التي تحملها عبارات الكاتبين، وكيف أسهمت في كشف أبعاد هذه الشخصية، وفي الوقت نفسه ما يمكن أن يُستخلص منهما من مضامين خطابية.

وعلى الرغم من أن البنيويين ينشغلون بمقاربة النص السردي من داخله بقطع صلاته بكاتبه ومتلقيه ومن أبرزهم في هذا السياق جينيت – على الرغم من إشارته إلى ذاتية الخطاب السردي كلما اتكأ المؤلف على ضمير التكلم أو أحال إليه[3] –؛ إلاّ أن هذه الدراسة لا تسلّم بمقولة الفصل هذه، وترى استحالتها من الناحية العملية، لاسيما عند محاولة تحليل الخطاب المضمّن في الأعمال السردية، متفقةً مع نور الدين بنخود الذي يرى أنّ «النص السردي التخييلي، شأن كلّ نصٍ أدبي، يندرج بالضرورة في علاقة تخاطبية طرفاها المؤلف والقارئ. وسواء أكان هذا المؤلف مجهولا أم معروفاً؛ فإن تفاعل القارئ يحمله على البحث عن صوت للمؤلف وتمثّل صورة له».[4]

(1) كايزير، ولف غانغ، "من يحكي الرواية؟"، ص 115.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) بنخود، نور الدين أحمد، "صوت المؤلف وصورته في النص الروائي: "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج أنموذجاً"، حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة: كلية الآداب والفنون والإنسانيات،

**الراوي ومضامين الخطاب بين السويدي وجبريل:**

فيما يلي من صفحات سنورد عدداً من النصوص التي تبين اتجاه السويدي في تشكيل صوت الراوي ثم نوازنها بعمل جبريل، وقد حاولنا اختيار نصوص مما اشترك الكاتبان في سرد أحداثهما (كقدوم المتنبي إلى مصر)، قصد الموازنة بينهما في سرد حدث مشترك، وبيان اختلافهما في حضور الراوي، وأثر ذلك على كلٍّ من وجهة النظر، والمضامين الخطابية. وحتى تكون الصورة مكتملة للقارئ فسنعيد إنتاج عينة من (يوميات دير العاقول) كما ظهرت منشورة، بما في ذلك النواحي الشكلية الإخراجية. والنص الأول المختار يتحدث عن خروج المتنبي من حلب قاصداً مصر، وقد جاء على النحو الآتي:

**«خروجي إلى مصر**

المكان: الفسطاط

تاريخ النشر: 2013-11-12

تاريخ الحكاية: 961 ميلادية

**إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقيا**

**وللنّفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا**

كان من أسباب خروجي إلى مصر، ومدحي الأسود: أن سيف الدولة كان يتلون عليّ، ولا يثبت على حال واحدة، ويصغي إلى قوم كانوا يغرونه بي ويوقعون فيّ حسداً لي، فكثر الأذى عليّ من جهته فأجمعت رأيي على الرحيل من حلب، فلم أجد بلداً أدنى إليّ من دمشق لأن حمص من عمل سيف الدولة، فسرت إليها حتى نزلتها، وبها يهودي من أهل تدمر يعرف بابن ملك من قبل كافور، ونبت بي دمشق، فسرت منها إلى الرملة، فحمل إليّ أميرها الحسن بن عبيد الله بن طغج هدايا وخلع عليّ، وحملني على فرس جواد بمركب ثقيل، وقلدني سيفاً محلّى، وسألني المدح فاعتذرت إليه بالأبيات الرائية وأولها:

---

ع 61، (2016م)، ص 6.

تَـرْكُ مَـدْحِـيـكَ كالهجاءِ لنفسي  وقـلـيـلٌ لـكَ الـمـديـحُ الكثيرُ

وبلغني أن كافوراً يقول: أترونه يبلغ إلى الرملة، ولا يبلغ إلينا؟! وأنه واجد عليّ، ثم كتب كافور من مصر إليّ يستدعيني إلى حضرته، فلم يمكنّي إلا المسير إليه، فلمّا بلغت مصر وأدخلت عليه شُدِهْتُ، فقد بدا لي عبداً أسود خصياً لابيّا مثقوب الشفة السفلى بطينا، قبيح القدمين ثقيل اليدين، لا فرق بينه وبين الأمة، وكنت قد سألت عنه بعض بني هلال، فقال: رأيت أمةً سوداء تأمر وتنهى، وقد صدق. وكان رسول الروم بمصر، فلما قعد في مركب راجعاً إلى بلد الروم والمسلمون ينظرون إليه قال لهم: ما أعرف أمةً أخس منكم! أعوزكم أبيض تملكونه أنفسكم! وسار، وولي كافور هذا أمر بني طغج، وملك ما كان في أيديهم، واستملك العبيد، وأفسدهم على ساداتهم. وكان هذا الأسود لقوم من أهل مصر، يعرفون ببني عياش، يحمل لهم الحوائج من الأسواق على رأسه، ويخدم الطباخ. مشتراه ثمانية عشر ديناراً وكان ابن عياش يربط في عنقه حبلا إذا أراد النوم، فإذا طلب منه حاجته جذبه لسقوطه! فإنه لم يكن ينتبه بالصياح فدخل إلى دار ابن طغج والناس يمدون أيديهم إلى رأسه! ويصفونه بصلابة القفا، فكان الغلمان كلما صفعوه ضحك! فقالوا: هذا الأسود خفيف الروح؛ وكلموا صاحبه في بيعه، فوهبه لهم فأقاموه على الوضوء والخلاء. ومات ابن طغج بدمشق وولده صغير، وتفرد الأسود بخدمة الصبي ومالت إليه والدته! وهي أمة؛ وتمكن من الصبي والمرأة حتى قرب من شاء وأبعد من شاء».[1]

لعل أول ما يستوقف القارئ لهذا النص، هي النواحي الشكلية لتدوين اليومية، وتداخل دور الكاتب مع صوت الراوي فيها، فالعنوان والمكان المذكوران يوحيان بأن زمن كتابتها كان عند مقدم المتنبي إلى مصر، ولكن تأريخ الحكاية بعام (961 ميلادية) الموافق لسنة (350 هجرية) وهي السنة التي خرج المتنبي في آخرها (في عيد الأضحى) من مصر. ثم إن تاريخ النشر المؤرخ بـ(2013-11-12 م) الذي يضعه الكاتب هكذا؛

(1) السويدي، محمد أحمد، يوميات دير العاقول، منشور بتاريخ (2013/ 11/ 12م)، على الرابط: http: / /dairalaqool.almotanabbi.com /#story-page وتطبيق واحة المتنبي، تبويب الخط الزمني، يوميات دير العاقول، (سنة 350هـ) رقم 6.

تأكيداً للإيهام بواقعية السرد الحكائي، وأن ما أمام القارئ منقولٌ عن مخطوطة المتنبي المتخيّلة التي ينشرها السويدي منقولة عن ذلك الأصل المفترض. كما يُلحظ فيها – من الناحية الشكلية – الاعتماد على فكرة الشرح من خلال الحواشي، المشابهة فكرتها لعمل جبريل، ولكن السويدي أعدّها بشكل مختلف وملائم للتقنيات الحديثة في الأجهزة اللوحية؛ فقد ميّز الكاتب أسماء الشخصيات أو الأعلام الواردة في النص بنمط كتابي مختلف، وعند الإشارة عليها بالمؤشر يَظْهر للقارئ تعليقٌ في مربع نص يحتوي تعريفاً موجزاً بهذا العَلَم.

تبدو هذه اليومية وكأنها من اليوميات التأملية التي يستذكر فيها الراوي (المتنبي) كيف كان مقدمه إلى مصر، وذلك لأن السويدي استخدم تقنية الاسترجاع الزمني. كما أن الراوي عندما يسرد الأحداث – فيما يأتي بعد ذلك – لا يلتزم خطاً زمنياً يسير في اتجاه واحد؛ بل نراه يتقدم للأمام ثم يعود ليسترجع مستذكراً ما قاله له الهلالي، ويؤكد صدق وصفه الذي كان قد ذكره له، وقد تأكد له بعد أن عاينه بنفسه. ومع ذلك؛ فإن هذه الاسترجاعات لم تؤثر على إدراك المتلقي للزمن السردي للحكاية أو تسلسلها.

ونجد أن الراوي قد يتنقَّل بين سرد الأحداث ووصف الشخصيات، كالشخصية الرئيسة الأخرى في القصة (شخصية كافور)، فحينما يقرر السويدي التوقف عن سرد الأحداث، يبدأ الراوي بوصف أحوال الشخصية الظاهرة وأفعالها، ويقدم ملخصاً وافياً لتاريخها؛ محاولاً أن يربط بين بعض أوصافها الظاهرية وبين ما يتوصل إليه من استنتاجات وأحكام، منطلقاً من أقدم ما يُعرف عنها وانتهاء بآخر ما وصل إليه كافور من حكم مصر؛ حيث صار يقرِّب من يشاء ويبعد من يشاء، أما في وصفه للشخصيات الأخرى التي ذكرها فلم يكن يتعمّق فيها كثيراً، فقد وصف أفعال سيف الدولة، كما بدت له من الخارج (يتلون عليّ، ولا يثبت على حال، يصغي إلى قوم).

كما أنّ الراوي الذي يسرد الأحداث هنا هو المتنبي نفسه الذي يقص حكايته، ويروي الأحداث من داخلها بوصفه حاضراً فيها، ومشاركاً في صنعها؛ ما جعله يبدو

عليماً بظواهر الشخصيات الأخرى ولكنه عندما يصف أحواله الخفية ودواخل النفوس، فإننا نجده أحياناً يتكئ على الظن والاستنتاج المبني على القرائن والشواهد؛ فقد عزا تلوّن سيف الدولة وإيذائه له إلى إصغائه إلى الوشاة (الحاسدين)، وأبان عن علمه بتطلُّع كافور لزيارته؛ معتمداً على ما بلغه ونُقِل إليه، ولكنه في أحيان أخرى كان جازماً في علمه بأن الأَمَة والدة الصبي الذي خلفه ابن طغج كانت تميل لكافور، لاشتراكهما في أصل الرق، وكذلك في وصف (تمكّن) كافور من الصبي وأمه، ويراد به امتلاك ثقتهما، وهذه من الأمور النفسية التي يبدو معها المتنبي راوياً عليماً بأحداث السرد، ينظر إليها من جهات مختلفة، ويقدّم لنا الشخصيات الأخرى وأوصافها الظاهرية، وحتى ما في دواخل نفوسها.

كما نجد حضور الراوي في الحدث مشاركاً في سرد أحداثه من الداخل ومقدماً منظوره متحدثاً فيه بضمير المتكلم (خروجي، بلغني، خرجت، رأيت ... إلخ)، بوصفه الاختيار الطبيعي؛ لاسيما أنّ الشكل الذي اختاره الكاتب يجعل ظهور صوت الراوي بصيغة المتكلم هو الاختيار التلقائي الأقدر على إيصال وجهة النظر التي يريد الكاتب أن يعزوها إلى المتنبي دون أن يتحمَّل تبعاتها، فكأنه بهذا يبعد نفسه عن آراء الراوي وأفكاره. وقد راوح السويدي في هذا النصّ بين استخدام الراوي العليم والراوي الشاهد، كما راوح بين سرد الأحداث ووصف الأشخاص؛ متكئاً مرة على علمه الكلي بالأحداث والوقائع ومرة على ما يُنقل إليه أو الظن والاستنتاج والتعليل.

ومما يؤيد القول برغبة الكاتب في إبعاد نفسه عن آراء الراوي، الذي جعله حاملاً للرسالة التي يريد إيصالها[1] ما نجد في النص من إشارات قد لا تبدو – للوهلة الأولى – ذات صلة مباشرة بالبناء السردي، لكنها تدلُّ على مضامين خطابية مهمة تُستنتَج من إشارات النص نفسه، تتمثل في إرساء المنظومة الخلقية اللازمة لمن يتولى سلطةً، من خلال نقد ما يضادها. فالمتنبي بعد أن جعله الكاتب مركزاً للأحداث، تحوّل إلى منظّر أخلاقي وسياسي؛ حيث يعيب دناءة خلق سيف الدولة وهو سيّد من أصل عربي تغلبي، مشيراً إلى ما لا ينبغي للسلطان أن يقع فيه من خلق سيء، مثل (التلون، والإيذاء)؛ فسلطته تخوّله أن يكون صريحاً

(1) انظر: السويدي، محمد، المتنبي وعصره بين البحث والرواية.

في مودته، أو غضبه أو عقوبته، دون أن يكون محتاجاً للموارية والاحتيال؛ مدفوعاً بالحرص على حضور شاعر يمدحه، ويعزز من مكانته السياسية بين منافسيه.

كما جعل السويدي راويه (المتنبي) يتوصل إلى أن كافوراً كان ممثلاً لصنف آخر غير ملائم للحكم، بالنظر تاريخه وصفاته الجسمانية (خصي، مشقوق الشفة، قبيح المنظر)، إضافة إلى أنه أتى من طبقة اجتماعية أدنى بمقاييس ذلك الزمن (عبد، أسود، مملوك) ليحكم أمة من غير السود، وكان يميل إلى من هم على شاكلته من الطبقات الاجتماعية التي لا تصلح للسيادة -وفقاً للمتنبي- باعتبار مكانتها الاجتماعية وماضيها واهتماماتها وما ارتبط بها من أخلاقيات وممارسات.

ويبدو أن السويدي الذي يحاول الإشارة إلى استمرار العقلية العربية في التفكير بالطريقة نفسها التي كان يفكر بها أسلافهم في القرن الرابع الهجري، ويمارسون الممارسات نفسها، وأن «القوانين التي حكمت عصر المتنبي ما زالت تحكم عصرنا، رغم كل ما ندعيه من تطور وحضارة» وأن «القيادات التي حكمت القرن العاشر فقمعت وقهرت وقتلت وعذبت وابتذلت موجودة في غير مكان من أرض العرب في القرنين العشرين والحادي والعشرين، وكأن أحداً لم يسمع عن مفاهيم الديمقراطية منذ الإغريق وصولاً إلى عصر فولتير، وجان جاك روسو، وغيرهما من مفكري عصر التنوير».[1]

وقد يظهر للوهلة الأولى أن في هذا الاستنتاج تضخيماً لإشارة يسيرة وردت في هذا النص، لكن بالعودة إلى مجمل (يوميات دير العاقول) نجد أن المادة الأكبر التي اختار السويدي إثباتها في هذه اليوميات تدور حول الصراعات السياسية على السلطة والثروة بين الوزراء والخلفاء، والمؤامرات والقمع والبطش والظلم في سبيل ذلك، والاحتراب على النفوذ، وهذه الحوادث التي يذكرها في يومياته، وإن كان لها أصل تاريخي إلا أن مقصدية الكاتب تبدو واضحة في اختياراته الواعية لهذه الحوادث؛ لتكون مادة لليوميات التي يريد من خلالها إبراز جوانب من فظائع التاريخ بإعادة سرد ما فيها من

(1) المصدر السابق.

أحداث شنيعة: كسمل العيون،[1] وتقطيع الأطراف،[2] وحزِّ الرؤوس، والطواف بها في الأسواق،[3] وصلب المقتولين والتمثيل بهم،[4] والأخذ بالظنة، والقتل بالشبهة، وفساد القضاة،[5] وانتهاب الأموال،[6] والتنكيل بالمناوئين.[7]

ولعل هذا ما قصد إليه السويدي باختياره هذه الأحداث بعينها؛ ليبيّن أن استمرار الأطماع السياسية والصراعات الطائفية والمذهبية والتطرف الديني[8] في عصرنا هذا دليل على عدم الاستفادة من دروس التاريخ المحفوظة في المصادر؛ ما حمله على إعادة تشكيلها في اليوميات المتخيّلة عن عصر المتنبي في قالب فني سردي جديد، وعليه فقد كان اختياره توظيف صوت الراوي ليقول ما يريد قوله ملائماً؛ لإيصال المضامين الخطابية السياسية، باعتبار الدور الذي مثله المتنبي (مثقفاً قريباً من السلطة) وما يمكن لخطاب المثقف المعاصر أن يقدمه إلى السلطة دون تحمّل التبعات.

وبالعودة إلى محمد جبريل الذي سلك في رواية «من أوراق أبي الطيب المتنبي» طريقاً مشابهاً لتقديم أحداث الرواية كما لو كانت تدوينات في مذكرات المتنبي، فنجده

(1) انظر: السويدي، يوميات دير العاقول، «سمل المستكفي» و «سمل القاهر بالله» و«سمل تكين» و«سمل المتقي»، يعلل ذلك بأن السمل كان طريقة (أخفّ من القتل) لضمان أن المسمولة عينه لن يكون قادراً على العودة إلى الحكم مستقبلاً باعتبار العاهة الجسدية المانعة له أي يقوم بشؤون نفسه فضلاً عن حكم غيره.

(2) انظر: المصدر السابق، "ابن مقلة يرثي يده".

(3) انظر: المصدر السابق، "رؤوس تطوف بغداد"، وهي حول قضاء القاهر بالله على مؤنس الخادم وبليق وابنه علي، لتآمرهم على خلعه وتولية المكتفي.

(4) انظر: المصدر السابق، "القاضي أبو الشوارب" و"قَتَلَة الحلاج".

(5) انظر: المصدر السابق، "صلب الحلاج".

(6) انظر: المصدر السابق، "وذهب العقد بكلمة"، وهي حول احتيال المكتفي ووزيره العباس بن الحسن في الاستيلاء على عقد ثمين لابن الجصاص ثمنه ستون ألف دينار. أخذاه منه دون ثمن بزعم أنه أساء للمكتفي بتكنيته أبا مشكاحل.

(7) انظر: المصدر السابق، "مقتل أبي الحسين البريدي" و "قتل نازوك وصلبه" و"مقتل نجا"، وكلها تدور حول الصراعات بين المتنفذين داخل البلاط، وكيف انتهت بمقتلهم.

(8) انظر: السويدي، محمد، المتنبي وعصره بين البحث والرواية.

يفتتحها بالرقم 8-6، -وكأن ما قبلها مفقود- واصفاً دخوله مصر، ومراوحاً بين سرد أحداث السفر ووصف مشاهد الأماكن التي رآها عند دخوله مصر من باب الصفا، ثم يتوقف متأملاً في المقطع التالي الذي نورده كاملاً قبل تحليله:

«كأنما العرب خُلِقوا للأحقاد. سيف الدولة يهبني لكافور بسوء تدبيره وقلة تمييزه. خلّفتُ في الشام أبا فراس. وأبا الحسين الناشيء وأبا القاسم الزاهي وأبا علي الحاتمي، بذلوا المداهنة والملق، والقصائد التي تخفض ولا ترفع. أحكموا المكائد والمؤامرات، فبات سيف الدولة غضباً خالصاً. قررت أن أترك لهم الجمل بما حمل، فأهجر الشام إلى بلاد أخرى، غيرها من بلاد العرب. ناقشت أصحابي: أي البلاد نتجه إليها؟ اختاروا العراق، واخترت مصر.

لم يكن اختياري وليد اللحظة ولا مصادفة. أسرفت - في قصائدي - في النيل من معز الدولة والنيل من الخليفة نفسه. أهملت الحيطة والحذر، فرميت ناس العراق بالجبن والخوف وغلبة الشهوات. باتت الطريق إلى بغداد - من يومها - غير ممهدة ولا مأمونة... الطريق وحيدة، وواضحة، إلى الفسطاط. الأمن والأمان. الحكم والسلطان. لا بد أن يلقاني الأستاذ أبو المسك كافور بما يليق بمنزلتي. ما أتيت إلى مصر إلا وقد شُغِلت بي الألسن وعمرت قصائدي مجالس الأنس ... تكفي ثلاث قصائد وربما قصيدتان. أتحدث عن مناقب الأستاذ، ومآثره. يهبني ما عجزت مدائحي في سيف الدولة عن تحقيقه، وما كاد تلميح رسل الأستاذ به يبدو تصريحاً: ولاية عسكرية في صيدا، أو في ...[1]

قبل أن أدخل عليه، كانت الروايات قد تحدثت، وأفاضت عن خَلْقه وخُلُقه، طريقته في الحكم. كيف كان يسوس الجماهير، ويحرك الأعوان. لم تختلف صورته الحقيقية كثيراً عن تلك التي رسمها تعدد الروايات: ممتلئ الجسم إلى حد السمنة، متفلفل الشعر،

(1) هذه النقاط (...) الدالة على الحذف في هذا الموضع من عمل جبريل، ويبدو أنه أراد المبالغة في إيهام القارئ أن عمله ما هو إلا تحقيق لمخطوطة حقيقية منسوبة للمتنبي، ولذا علق في الهامش بقوله: "صيدا إحدى مدن الشام، وبقية الكلمات مطموسة". جبريل، محمد، من أوراق أبي الطيب المتنبي، ص 10

أسود الشعر، مثقوب الشفة السفلى، تلتمع عيناه ببريق التوجس، أو محاولة استشفاف ما يضمره الواقف أمامه. هذا الذي ولي حكم مصر ببشارة منجم، ودفع له درهمين. العبد الخصي المملوك لمن لا يعرفه. أحد أهالي مصر. حمل نير المعصرة. داس الكسب، جر العجلات، افترش الأرض، تمرغ في الزيت، لقي الكثير الكثير من العنت والإيلام».[1]

ورواية جبريل من النواحي الشكلية مشابهة لعمل السويدي في اليوميات، وإن كانت الوحدة العضوية عند جبريل أقوى وأشد ترابطاً، حتى مع توزيعه (الشكلي) لصفحات الكتاب على ما يشبه الأوراق التي يذكرها بتسلسل يوحي بأن هذا هو ترتيبها في المخطوطة المتخيّلة، ويترك ذكر أرقام بين حين وآخر، ويضع نقاط الحذف (...) ويعلق في الهامش بأنها مطموسة في الأصل، اتباعاً لطريقة المحققين التي يتمثّلها في التعريف بالأعلام، وشرح المفردات الغامضة، ويعلق في هوامش أكثر الصفحات بتعليقات توضيحية أو تأويلية لبعض ما يرد سرده في النص، أو تدخلات لصرف فهم القارئ إلى الوجهة التي يريد، فيذكر أنها إشارة تصحيحية لبعض ما يسميه أوهام المتنبي وخيالاته.[2]

وفيما يتعلق بنمط الراوي عند جبريل فإننا نجده راوياً عليماً وحاضراً مشاركاً في أحداث السرد ويرويها من داخلها، ويصف في أثنائها ظواهر شخصياته وبواطنها وصف العليم بها الذي خبر مكنوناتها، وأحاط بخوافيها. ولكنه يختلف على مستوى الخطاب بشكل واضح عن المضامين التي يذكرها السويدي؛ لا سيما ما له صلة بشخصية كافور، ووصوله إلى حكم مصر. فعلى الرغم من أنه يذكر الصفات الجسمانية لكافور؛ إلا أنه يصفها بلغة أقل سخرية مما وصف به السويدي، والأهم أنه يصور كافوراً وكأنّه نال حكم مصر عن جدارة.

(1) المصدر السابق، ص 13-9.

(2) انظر: المصدر السابق، ص 41، لا سيما ما علق به جبريل في الهامش بعد ذكر "الجماعات الوافدة" التي نسبها إلى خيال المتنبي، ولم يجد لها ذكراً في المصادر أو الروايات التاريخية، وهي ما تشير إليها دراسة الشوابكة بأنها "إشارات عصرية دالة على الصراع السياسي مع العدو الإسرائيلي". الشوابكة، المتنبي راوياً والروائي محققاً، ص 25.

فبينما يرسمه السويدي شخصاً بليداً ساقطاً ثقيلاً؛ نجد جبريل يشير إلى أمارات النباهة التي يستشفها من بريق العينين توجساً، ودقة الملاحظة في قراءة مكنونات مخاطبيه. وحين يصف السويدي كافوراً بأنه كان خادما مبتذلاً وموكلاً بوضوء سادته وخلائهم، أو بالطبخ لهم، نجد جبريل – في المقابل – يسرد صوراً من كفاح كافور تحت نير الاستعباد والألم والعنت؛ فقد عمل في أصناف عديدة من الأعمال، ما جعله خبيراً بكل شيء خبره وعاينه.

ولعل الاختلاف الأبرز بين الخطابين أن السويدي يجعل كافور طارئاً على مصر، بينما يؤكِّد جبريل أنه من أبناء مصر وإن كان عبداً خصيًّا ومملوكاً، وبينما يحشد السويدي الصفات التي تشير إلى عدم جدارة كافور بحكم مصر، فإن جبريل قد حشد الصفات الخُلُقية والخَلْقية، لا سيما الطريقة القيادية التي كان كافور قادراً بها على حكم مصر، وسياسة أهلها، وكأن حكمه لمصر هو ثمرة الكفاح والعصامية التي اتصف بها كافور، لا مصادفة تمكَّن بها كافور من الاستيلاء على قلب أَمَةٍ مملوكةٍ مثله وابنها، فنَفَذَ من خلالهما في غفلة من الزمن إلى مكان لم يكن جديراً به.

لقد كان دور الراوي (المتنبي) أكثر وضوحاً عند جبريل من خلال قدرته على النفاذ إلى الشخصيات والإحاطة بجوانبها الظاهرة والباطنة، والأهم من ذلك أنه استطاع أن يقدم قراءة أشمل لتاريخها، وجوانب ماضيها وحاضرها، بخيرها وشرها. بينما لم تكن هذه الوظيفة متحققة بشكل واضح عند (متنبي السويدي) الذي بدا معه المتنبي متعالياً غير محيط بما ينبغي له الإحاطة به، أو غامطاً لكافور فلم يصفه وصفاً مقنعاً للقارئ عن كيفية وصوله لسدة الحكم في مصر وهو بهذا السوء، ما يعني تبعاً لذلك أن المجتمع كان بالسوء نفسه، وهو ما أكده السويدي باختياره الإشارة إلى مقولة رسول ملك الروم «ما رأيت أمّةً أخسَ منكم» ولكن مبرره انحصر في عجز الأمة أن تجد رجلاً أبيض يحكُمُها بدل هذا الأسود، ولم يذكر مبرراً لعدم صلاحيته للحكم بالنظر إلى قدراته القيادية أو طريقته في الحكم أو سياسة الجماهير، غير انتمائه لطبقة العبيد، وتمكينه لأشباهه من مقاليد الأمور، وإفساده العبيد على ساداتهم بعد أن آل إليه الأمر.

وفي المقابل يمكن القول: إن السويدي باختياره أن يكون راويه (المتنبي) بهذا القدر من النظر السطحي إلى ظواهر الأمور، مع إغفاله الموضوعية في استقصاء ما يبحث من ظاهرة إنما أراد أن ينقل من خلاله البون الشاسع، والمفارقة الفجّة بين ما تدعيه الأمة العربية من تطور وتقدم حضاري، وبين ما زالت تؤمن به عن الطبقية الاجتماعية، والتصورات التي لا تنتمي لهذا العصر الحديث، ولا لحضارته عن ألوان البشر، وصفاتهم الجسمية التي لا ذنب لهم فيها، ولا مشيئة، ولا اختيار؛ وإغفال النظر إلى ما يكسبه المرء، وما يحوزه بجده واجتهاده؛ أو عمله الذي يحمده الناس متى أحسن فيه، أو يلومونه عليه عند الإساءة

ويشترك السويدي وجبريل في نقد الجوانب الخلقية للطبقة السياسية، من خلال صوت راويهما (المتنبي)؛ فجبريل يصدّر هذا المقطع بذم شيوع الحقد بين المتنافسين من الحكام، فكلٌّ يريد أن يوظِّف المثقف خادماً لتعزيز مكانته السياسية، ومروجاً لصورته بين منافسيه، وأن يجعله يبدو أفضل منهم ولو كان هؤلاء المتنافسون يقبعون في الحضيض نفسه، و(متنبي السويدي) يذم تلون سيف الدولة، مدفوعاً بإغراء حساده المنافسين له، فكلاهما يشير إلى ما يحدث في دوائر الصراع على النفوذ، والتنافس على المكاسب ومصادر الثراء؛ ما يجعل هذه الصراعات العبثية مشغلةً حقيقيةً عن الدور الذي يفترض أن تضطلع به هذه الطبقة من رعاية مصالح الناس، والسعي فيما يصلح شؤون معاشهم، ويخفف عنهم أعباء الحياة.

ولقد أتاحت اليوميات للسويدي أن يدوّن خطرات فكرية عابرة ضمن أقاصيص قصيرة يحكيها راويه (المتنبي)، ويسلم هو من مؤونتها، وتبعات قولها، لا سيما إذا كان فيها ما قد يُحْفِظ السلطة، فتمكّن بهذا القناع من قول ما يريد قوله على لسان شخصيات تاريخية كأنها إنما تتحدث عن أحداث تاريخية، ولكن الدرس المستفاد منها خالد، والعبرة المضمنة فيها باقية، وصالحة لكل عصر، ومن ذلك ما نجده في يومية «الولاء والكفاءة» التي جاءت على هذا النحو:

**«الولاء والكفاءة**

المكان: حلب

تاريخ النشر: ٤-٤-٢٠١٤

تاريخ الحكاية: ٣٣٧ هجرية

قلت لسيف الدولة بعد النكبة التي حلّت به قرب بحيرة قلعة الحدث سنة ٣٣٧ هجرية: هذا جزاء اختيارك الرجال بمعيار الولاء لا الكفاءة؛ أنّ من بوأتهم المراكز الرفيعة في دولتك هم سبب فشلك وإخفاقك! قلت له ذلك، فأطرق».[1]

إن مثل هذه الملاحظة قد لا تخصّ سياقاً مكانياً أو زمانياً بعينه، بل إنها تصلح لكل من يلي ولاية أو تكون له سلطة مما بلغت من السعة أو الضيق، أن يصطنع المعاونين عليها من الأكفاء، وألّا يكون الاختيار مبنياً على معيار قوة ولاء المعاون لقائده، بل على كفاءته. ولكنّ الكاتب اختار التقنية الأنسب – من وجهة نظره – لإيصال هذه الرسالة من خلالها، وهي (اليوميات)، ثم جعل صوت الراوي المتنبي المتحدث عن نفسه بضمير التكلم، وجعل الدور الذي تقمصّه (الحكيم الناصح المجرّب)، فأضفى ذلك جواً شعورياً دافئاً على سياق الحكاية، ورسم الأثر العميق الذي تركته هذه النصيحة؛ مصوِّراً أن سيف الدولة قد أطرق بعد سماع هذا القول من المتنبي على الرغم من قسوته، مما يدلّ على مكانته عند أميره، واقتناعه بصحة محتوى هذه النصيحة.

وسواءً أكانت أمثال هذه الحكايات متصلة بواقع الكاتب أم غير متصلة، نابعة من موقف ذاتي خبره أم متخيلة، فإنها يمكن أن تُقرأ بوصفها تأملات إنسانية عامة؛ بَيْد أنَّ السويدي في يوميات أخرى قد يستجلب سياقاً تاريخياً ليسقط عليه أمراً معاصراً، ويلبسه لبوس التاريخ، بذكره على لسان شخصيات الحكاية وبصوت راويها (المتنبي). فعلى سبيل المثال، نجد أنه يعبّر عن الاستياء الشديد من حالات الانتحال الأدبي وادعاء

(1) السويدي، محمد أحمد، "الولاء والكفاءة"، يوميات دير العاقول، منشور بتاريخ (12/ 11/ 2013م)، على الرابط: http: //dairalaqool.almotanabbi.com /#story-page وتطبيق واحة المتنبي، تبويب الخط الزمني، يوميات دير العاقول، سنة (337ه).

الشاعرية؛ التي قد تحدث من ذوي المال والسلطة أو أولادهم، وهي مما يشيع ذكره بين الناس وتتناقله وسائل الإعلام الحديث، ولكنّه يضمنها في طيّ جملة من المكروهات التاريخية التي لا يطيقها (المتنبي) في حكاية من يوميات دير العاقول، فيقول:

**«أربعة لا أطيقهم**

المكان: حلب

تاريخ النشر: ٢٤-٤-٢٠١٤

تاريخ الحكاية: ٣٣٧ هجرية

قلت لسيف الدولة لـمّا تمكّن النبيذ منه: أربعة لا أطيقهم من أصحابك ولا أظنّهم يطيقونني، فقال من؟ قلت: أستاذك ابن خالويه، فارسيّ يعلّمك العربيّة، وخادمك يماك، تركيّ ركب رقاب الناس، وابن عمّك أبو فراس، ولد لا يأنف عن شراء القصائد من الأعراب وينسبها لنفسه، وابن عمّك الأعور، فأغمض سيف الدولة إحدى عينيه وقال: أبو العشائر، فقلت: أجل أبو العشائر. وضحك ملء فيه».[1]

إن حضور الراوي البارز في مثل هاتين الحكايتين وما يرسمه الكاتب من اقترابه من السلطان -كونه نديماً في مجلس الشراب - مع قدرته على إيصال صوت النصيحة، وإن لم تجد أذناً واعية أو عقلاً متيقظاً دائماً إلا أن فيها أداءً للرسالة التي يرى السويدي أن من واجبات المثقف أن يوصلها للسلطة، وألّا يقتصر دوره على خدمة مذهبها السياسي، أو البحث عن منفعته الخاصة من خلال الاستجداء؛ لأنه إما «موظف لدى السلطة أو المؤسسة الخاصة»، وهو مدفوع بحاجة الطرفين إلى ذلك «على حد قول الفيلسوف الإغريقي كم من (مصابيح لا تمدّ بالزيت)».[2] إن المصالح المتبادلة بين المثقف والسلطة تمثل نقطة التقاء يمكن أن يتحقق من خلالها النفع للجميع (المثقف والسلطان

(1) السويدي، محمد أحمد، "أربعة لا أطيقهم"، يوميات دير العاقول، منشور بتاريخ (2014/ 4/ 24م)، على الرابط: http: / /dairalaqool.almotanabbi.com /#story-page وتطبيق واحة المتنبي، تبويب الخط الزمني، يوميات دير العاقول، سنة (337ه).

(2) السويدي، محمد، المتنبي وعصره بين البحث والرواية.

والمجتمع) متى صدقت النوايا وصحت النفوس، فأسدى المثقف نصحه دون تزلّف أو نفاق، وبيّن للسلطان ما قد يخفى عليه، أو لا يصله من أحوال الناس، وهيأ السلطان الفضاء الملائم لكي يصل إليه ما يجب أن يصله من نصح صادق، لا يخشى معه قائله تبعات القول.

وبالعودة إلى جبريل فنجد أنه في المقابل يقدّم على لسان راويه (المتنبي) علاقة المثقف بالسلطة بشكل مختلف، ففي النص الآتي تبدو العلاقة بين المتنبي وممدوحه (كافور) فاترة، يُثقِلها الترقّب، وتحيط الشكوك بطرفيها:

«كنت إذا دخلت على كافور أنشده، يضحك لي، ويبش في وجهي، إلى أن أنشدته:

**ولـمـا صـار ودّ الـنـاس حـبـاً جـزيـت عـلـى ابـتـسـام بابتسام**

فما ضحك بعدها في وجهي، إلى أن تفرقنا. فعجبت من فطنته وذكائه».[1]

وفي موضع آخر يضع جبريل على لسان راويه (المتنبي) اعترافاً بالخطيئة التي يرتكبها المثقف في حق المجتمع، وذلك حينما قرر (المتنبي) أن يقف متفرجاً على آلام الشعب ومعاناته، صامتاً لا يقدم له شيئاً، ولو مجرد كلمة نصح لكافور أو أعوانه، يقول:

«غادرت البادية والشام وحلب وسيف الدولة؛ لأظفر بالمكانة التي أستحقها، أتيت لهدف محدد، فلا أجاوز الطريق إلى دروب وأخطاط لا شأن لي بها».[2]

وقد ألمحتْ دراسة الشوابكة إلى سلبية المثقف (المتنبي) في هذا النص، فقد بدا «مثقفاً انتهازياً وصولياً لا تعنيه سوى أحلامه وتطلعاته وطموحاته التي رحل إلى مصر من أجلها؛ فعلى الرغم من أنه يشهد في أثناء إقامته في مصر كثيراً من الأحداث إلا أنه يكتفي بالمشاهدة دون المشاركة أو محاولة الفعل والتغيير، والوقوف إلى جانب أبناء الشعب، فكل ما يعنيه همه الفردي، ونزعته الذاتية إلى المال والجاه والسلطان».[3]

(1) جبريل، من أوراق أبي الطيب المتنبي، ص 88.

(2) المصدر السابق، ص 24.

(3) الشوابكة، المتنبي راوياً والروائي محققاً، ص 10.

ولكن الرواية قد سمحت لجبريل – بعكس يوميات السويدي – أن يسرد الأحداث وصولاً إلى نهاية أحلام المتنبي، وإيقاع العقوبة على خطيئته في حق المجتمع بتلقيه الخبر الصادم من كافور بأنه لن يلي له ولاية، قائلا:

«أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين، سمتْ نفسك إلى النبوة.. فإن أصبت ولاية، وصار لك أتباع.. فمن يطيقك».[1]

ولا شك أن ما تتيحه الرواية للكاتب من مجال أوسع لبسط المضامين الخطابية، وتوزيعها على امتداد صفحاتها في مواضع متباعدة، يتمكّن معها الكاتب من بنائها بشكل تدريجي؛ لا تسمح به اليوميات بالطريقة نفسها، بل قد يتعذر ذلك على الكاتب، لا سيما مع غياب حبكة واضحة أو عقدة يمكن تأزيمها ثم حلها، ولكن ما اشترك فيه العملان من توظيف الراوي الحاضر في الأحداث التي يسردها وقد كان مشاركاً فيها؛ يبيّن أن اتجاه الكاتبين في توظيف الراوي لم يكن خدمة لبناء النص السردي في المقام الأول، وإنما قناعاً لعرض المضامين الخطابية السياسية، سواء في السياق المحلي لجبريل، أو السياق العربي العام كما نجده عند السويدي.

(1) جبريل، من أوراق أبي الطيب المتنبي، ص93.

## الخاتمة:

قدمت هذه الدراسة مقاربة تحليلية لنمط الراوي ووظيفته في (يوميات دير العاقول: سيرة أبي الطيب المتنبي) لمحمد أحمد السويدي من خلال موازنتها برواية (من أوراق أبي الطيب المتنبي) لمحمد جبريل، متّبعة منهجية التحليل السردي ذات المنطلقات البنيوية، وقد توصلت الدراسة إلى ما يلي:

١. تعد (يوميات دير العاقول: سيرة أبي الطيب المتنبي) عملاً سردياً فنيّاً لا كتابة تاريخية؛ ومقولة السويدي حول محاولته إعادة تشكيل التاريخ ليست سوى حيلة خطابية؛ يخفي من خلالها رأي الكاتب في ثنايا صوت الراوي. فاليوميات حكاية لسيرة متخيّلة عن حياة المتنبي، استلهمت التاريخ وأعادت تشكيله وبناءه في قالب سردي يصور مشاهد من تلك الحياة، موظِّفة بعض عناصر العمل السردي في تشكليها وبنائها، ولكن بناءها الفنيّ لم يكتمل قياساً إلى ما أنجزه جبريل في روايته.

٢. على الرغم من اشتراك الكاتبين في اختيار مدخل حكائي واحد (العثور على مخطوطة يوميات تنسب للمتنبي)، وبناء عمليهما على فكرة اليوميات المتخيّلة؛ إلا أن كلاً منها قد اختط لنفسه خطاً مختلفاً في سرد حكاية هذه الأيام، اختلفت معه وجهة النظر المقدمة من خلال وقائع السرد.

٣. اشترك العملان في الاعتماد على تقنية الراوي الحاضر في سرد الأحداث والمشارك في تشكليها، عن طريق ضمير المتكلم، وقد أتاح هذا لكلا الكاتبين أن يتخذا من هذا الراوي قناعاً، ليتكمنا من تحميله برسائل وحمولات خطابية، قد لا يكون التعبير عنها متيسراً بطرائق أخرى.

٤. تباينت أنماط الراوي في العملين، فالسويدي يميل إلى جعل راويه (المتنبي) عليماً، ولكنه ليس كلي العلم دائماً، وأحياناً يكون راويه شاهداً للأحداث سارداً

لها غير مشارك في صنعها، أو عالم بخوافيها. وأما جبريل فقد اعتمد على الراوي العليم، وهو كليّ العلم في أكثر الرواية، وقلما يتجه لاستعمال الراوي الشاهد، فإذا استعمله، وظف ذلك لبيان سلبية موقف الشخصية وغياب دورها المنوط بها وفق مضامين الخطاب.

٥. إن المضامين الخطابية التي حاول كل من الكاتبين أن يبثّها في سرده قد أثرت على الطريقة التي سلكها كلٌّ منهما لاختياراته الفنية في البناء السردي لعمله بشكل عام، وفي طريقة حضور صوت الراوي، ودوره المنوط به في العملية السردية. فالسويدي كان يعوّل على الأديب (المتنبي) أن يسهم في تشخيص مشكلات العقلية العربية اليوم من خلال الحضور الإيجابي الفاعل في الاتصال بذوي السلطة، وإيصال صوت الناس الذين لا تصل أصواتهم لمن ينبغي أن يبذل جهده في ذلك السبيل. كما أراد إبراز بعض مظاهر الأزمة في العقلية العربية –عموماً – لا سيما في السياق السياسي والاجتماعي والديني. وأما جبريل فقد صوّر – في سياق حديثه عن مجتمعه المصري أيام السبعينات الميلادية من القرن المنصرم – أن حضور المثقف كان سلبياً؛ على الرغم من كونه حاضراً في السرد، وشاهداً يرى الأحداث، ولكنه لم يختر المشاركة بفاعلية فيها، مؤثراً اتباع مصالحه الخاصة والعمل على تحقيقها من خلال تجنّب ما قد يؤثر عليه من تبنّي مواقف الشعب أو التعبير عن آلامه ومعاناته، ولذا فقد جعل الراوي حاضراً شاهداً لا مشاركاً أو محركاً للأحداث في هذا السياق.

٦. يعد عمل جبريل أكثر اكتمالاً من الناحية الفنية، وجاء الراوي عنده واضح الدور وموظفاً بشكل جيد؛ إذ مكّنه الجنس الروائي من الإتيان على كافة ما يود قوله على امتداد صفحاتها، أما السويدي فقد كان محكوماً بحدود اليومية الواحدة؛ ما أضعف الحضور الفاعل للدور الفني لصوت الراوي في البناء السردي، ولكنّ الأبرز عنده هو عمق المضامين الخطابية السياسية التي استطاع إيصالها من خلال صوت راويه (المتنبي)؛ حيث جعل منه قناعاً ملائما لنقد ما أراد سواء عند السلطة السياسية أو في العقلية العربية المعاصرة.

٧. تبيّن من خلال الدراسة ضرورة استحضار موقف المؤلف والمتلقي عند تحليل مضامين الخطاب السردي؛ ما يعني ضرورة الاختيار الواعي من قبل الدارس وتوظيف ما يخدم تحليل النص من أدوات المنهج في إطار الاستنطاق الأوسع للنص المدروس؛ لذا أفادت الدراسة بوعي منهجيّ من بعض آليات التحليل السردي المنطلق من بعض أعلام المدرسة البنيوية في تحديد أنماط الراوي ووظائفه.

٨. يمكن للأبحاث المستقبلية أن تشمل بقية عناصر السرد بالدارسة، من حيث علاقتها ببنية الخطاب السردي، وعلاقتها بتلقي مضامين الخطاب السردي، لا سيما الخطاب السياسي فيها.

٩. كما توصي الدراسة بأن يضمِّن الباحثون مستقبلاً الأعمال الفنية التي أُنتجت حول المتنبي لا سيما مسرحية عادل كاظم "الزمن المقتول في دير العاقول"، في سياق الموازنة بين أعمال فنية مختلفة الأجناس، ومتشابهة المضمون، لينظر في طرائق بناء السرد والمضامين الخطابية فيها.

١٠. كما توصي الدراسة بأن يدرس الباحثون مستقبلاً عمل السويدي – في واحة المتنبي عموماً أو في يوميات دير العاقول بشكل خاص – بوصفه أدباً رقمياً، أو بمقاربته مقاربة وسائطية، لاستقراء مدى تأثير الوسيط الرقمي في هذا الأدب.

## المراجع


- إبراهيم، علاء عبد المنعم. أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي القديم. الدوحة: دار نشر جامعة قطر، ٢٠٢٠م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي. القاهرة، دار المعارف د.ت.
- برقاد، أحمد. «تعالق السيرة الذاتية بتخوم الأجناس السردية». مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية. ع ٣٨، (٢٠١٨م).
- برنس، جيرالد. المصطلح السردي: معجم مصطلحات. ترجمة: عابد خزندار. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣م.
- بنخود، نور الدين أحمد. «صوت المؤلف وصورته في النص الروائي: «كتاب الأمير» لواسيني الأعرج أنموذجاً». حوليات الجامعة التونسية، جامعة منوبة: كلية الآداب والفنون والإنسانيات، ع ٦١، (٢٠١٦م).
- تودوروف، تزيفطان. «مقولات السرد الأدبي». ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد صفا. طرائق تحليل السرد الأدبي: دراسات، الرباط: منشورات اتحاد كتّاب المغرب، ١٩٩٢م.
- جبريل، محمد. من أوراق أبي الطيب المتنبي: رواية، ط ٢، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٩٥م.
- جينيت، جيرار، «حدود السرد»، ترجمة: بن عيسى بو حمالة، طرائق تحليل السرد الأدبي: دراسات. الرباط: منشورات اتحاد كتّاب المغرب، ١٩٩٢م.
- السويدي، محمد أحمد. «حول التشابه بين يوميات دير العاقول ومن أوراق أبي الطيب المتنبي: المتنبي وعصره بين البحث والرواية»، صحيفة القدس العربي. عدد ١٠ أكتوبر ٢٠٠٧م.

- الشوابكة، سمية. والشوابكة، نوال. «المتنبي راوياً والروائي محققاً: رواية «من أوراق أبي الطيب المتنبي» للروائي المصري محمد جبريل». مجلة جامعة ابن رشد في هولندا. ع ٢٧، (٢٠١٨م).
- عطفة، فاطمة. «محمد السويدي الشاعر الذي عشق المعرفة وذهب عميقاً في جنّاتها لـ«الاتحاد»: الثقافة الإماراتية تعيش لحظة التمكين». صحيفة الاتحاد الإماراتية. ٩ فبراير ٢٠٢٠م.
- عماد، عبد اللطيف. «علم السرديات وسرديات التراث: مراجعة كتاب: أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي القديم». مجلة أنساق، دار نشر جامعة قطر – كلية الآداب والعلوم – قسم اللغة العربية، مج ٣، ع٢.
- العيد، يمنى. تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط ٣. بيروت: دار الفارابي، ٢٠١٠م.
- قاسم، سيزا. بناء الرواية: دراسة مقارنة في «ثلاثية» نجيب محفوظ، (القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤م).
- كاظم، عادل. الزمن المقتول في دير العاقول: تشخيصية معاصرة عن زمن المتنبي المقتول. بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٧م.
- لحمداني، حميد. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. بيروت والرباط: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩١م.
- كايزير، ولف غانغ، «من يحكي الرواية؟ ترجمة: محمد اسويرتي. طرائق تحليل السرد الأدبي: دراسات. الرباط: منشورات اتحاد كتّاب المغرب، ١٩٩٢م.
- وتار، محمد رياض. توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م.
- المصادر الرقمية:
- إبراهيم، علاء عبد المنعم. «أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي التراثي: كتاب نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي نموذجًا». شبكة الألوكة. منشور بتاريخ: (٢٤/ ٩/ ٢٠١١م). على الرابط: https: / /www.alukah.net / 0/ publications_competitions /34897

- تطبيق واحة المتنبي. على الرابط: https: / /apps.apple.com /us /app / waha-almotanabbi
- السويدي، محمد أحمد خليفة. "المتنبي وعصره بين البحث والرواية". موقع الوراق الإلكتروني. (18 / 9/ 2007م)، على الرابط: http: / /www.alwaraq.net / Core /dg /dg_honorable_comments?recid=4454
- السويدي، محمد أحمد خليفة. "يوميات دير العاقول (سيرة أبو الطيب المتنبي)". صفحته على موقع (فيسبوك). منشور بتاريخ (17 / 4/ 2017م). على الرابط: https: / /www.facebook.com /mohammed.suwaidi.poet / posts /857831111052998
- السويدي، محمد أحمد. "الولاء والكفاءة". يوميات دير العاقول. منشور بتاريخ (12/ 11/ 2013م). على الرابط: http: / /dairalaqool.almotanabbi. com /#story-page
- السويدي، محمد أحمد. "أربعة لا أطيقهم". يوميات دير العاقول. منشور بتاريخ (24/ 4/ 2014م). على الرابط: http: / /dairalaqool.almotanabbi. com /#story-page
- السويدي، محمد أحمد. "خروجي إلى مصر". يوميات دير العاقول. منشور بتاريخ (12/ 11/ 2013م). على الرابط: http: / /dairalaqool.almotanabbi. com /#story-page
- العذاري، ثائر. "الراوي والسارد وفوضى المصطلحات". مؤسسة النور للثقافة والإعلام. منشور بتاريخ (07/ 06/ 2019م). على الرابط: http: / /www. alnoor.se /article.asp?id=353698
- موقع القرية الإلكترونية. على الرابط: http: / /www.electronicvillage.org/
- موقع واحة المتنبي. على الرابط: http: / /www.almotanabbi.com / poemsList.do
- موقع يوميات دير العاقول. على الرابط: http: / /dairalaqool.almotanabbi. com /#story-page